رسالة فيما يتعلق بنزول القرآن

الحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم هدى ورحمة ودستورا لجميع المخلوقين، والصلاة والسلام على من أنزل عليه الكتاب المبين نبينا محمد الأمين و على آله أجمعين ،الذين يؤمنون بالفرقان على وجه اليقين ويحملونه في صدورهم إلى يوم الدين. أما بعد سأبين لك بإذن الله تعالى في هذه الرسالة بعض المعلومات يتعلق بعلوم القرآن على طريق الإيجاز.

الفصل الأول: نزول القرآن

من المعلوم أن القرآن قد أنزل بواسطة جبريل عليه السلام. هناك أدلة كثيرة تدل على هذه الحقيقة، منها القوية تلك الآيات: {نزل به الروح الأمين●على قلبك لتكون من المنذرين●بلسان عربي مبين}. وذهب المفسرون إلى أن المراد بالروح الأمين جبريل، كما روي في كثير من الروايات. ثم النزول ينقسم إلى قسمين، أولهما النزول من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا. فقد تحقق هذا النزول جملة واحدة في ليلة القدر، كما قال الله تعالى فى سورة القدر: {إنا أنزلناه في ليلة القدر}. أما القسم الثاني فهو النزول من السماء الدنيا إلى الأرض. تجد هذا التقسيم من النزول في بعض أقوال الأصحاب، منها الرواية التي رواها الحاكم والبيهقي أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا، و كان بمواقع النجوم، وكان الله ينزله على رسوله صلى الله عليه وسلم بعضه في إثر بعض". فقد تحقق هذا النزول الثاني إلى قلب الرسول صلى الله عليه وسلم في مدة ثلاث وعشرين سنة، أي في مدة رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم، منجما (أي مفرقا) خلافا لنزول الكتب السماوية السابقة، فإنها قد أنزلت جملة واحدة (وكاد يكون في ذلك إجماع)، ولذلك كان يضحك اليهود والمشركون على النبي صلى الله عليه وسلم قائلين: "يا أبا القاسم لولا أنزل هذا القرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى". فلقد نزل هاتان الآيتان ردا على هذا القول: {وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا}.

الفصل الثاني: حكم نزول القرآن تدريجا

إن لنزول القرآن منجما حكم كثيرة، لكنني أريد أن أقتصر على ثلاث منها فقط:

أ - تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم: عندما واجه الرسول أو الأصحاب مشكلات وظلم المشركين كان الله ينزل آيات تتعلق بقصص النبيين الصابقين وصبرهم ليقوي المسلمين في دعوتهم ويأملهم، ومن تلك الآيات: {ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا...}.

ب - التدريج في تشريع الأحكام السماوية: هذه الحكمة مربوطة بالحكمة الأولى، لأن تثبيت القلوب كان ضروريا لتطبيق الأحكام الشرعية. كما نعلم في بداية دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم عاش المسلمون تحت حكومة المشركين، يعني لم يكن عندهم قوة، بل هم كانوا أقلية. لم يكن بالإمكان أن يمارسوا الشريعة كاملة بكل أجزاءها. ولذلك ترى أن السور المكية (أي السور نزلت قبل الهجرة) تتحدث في الغالب عن توحيد الله، والدعوة إلى الإسلام، ويوم القيامة، وقصص الأنبياء والرسل الصابقين. ذلك لتربية المسلمين، ولتحضيرهم على تحمل الشدائد كالجهاد في سبيل الله حتى يحصلوا على إيمان كامل. أما بعد تأسيس الدولة الإسلامية قد نزل كثير من أيات الاحكام، السياسية والاقتصادية والاجتماعية. ولذلك تجد في السور المدنية (أي السور نزلت بعد الهجرة) موضوعات جديدة مثل: الفرائض والحدود والحقوق والجهاد وغير ذلك.

ج - تسهيل حفظ القرآن مع تفهيم معناه: إن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا مختلفين عنا. هم ما اقتصروا على حفظ القرآن فقط، بل روي أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ويعملوا بما فيها من العلم وعندما نزلت أيات جديدة زادتهم إيمانا. لعل هذا هو الفرق بيننا و بينهم. مع الأسف الشديد كثير من الطلاب في الحاضر يقتصرون فقط على حفظ لفظ القرآن ويهملون العمل بما فيه، وقد قال الله تعالى: {ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء}. بسبب نزول القرآن منجما وأسباب النزول كان يفهم الأصحب القرآن فهما صحيحا وجعل هذا حفظه أسهل.

من الله التوفيق وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.